تفسير إبن كثير

فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ

وقوله : (فكان قاب قوسين أو أدنى) أي : فاقترب جبريل إلى محمد لما هبط عليه إلى الأرض حتى كان بينه وبين محمد - صلى االله عليه وسلم - قاب قوسين أي : بقدرهما إذا مدا . قاله مجاهد ، وقتادة .وقد قيل : إن المراد بذلك بعد ما بين وتر القوس إلى كبدها .وقوله : (أو أدنى) قد تقدم أن هذه الصيغة تستعمل في اللغة لإثبات المخبر عنه ونفي ما زاد عليه ، كقوله : (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة) [البقرة : 74] ، أي : ما هي بألين من الحجارة ، بل هي مثلها أو تزيد عليها في الشدة والقسوة . وكذا قوله : (يخشون الناس كخشية االله أو أشد خشية) [النساء : 77] ، وقوله : (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون) [الصافات : 147] ، أي : ليسوا أقل منها بل هم مائة ألف حقيقة ، أو يزيدون عليها . فهذا تحقيق للمخبر به لا شك ولا تردد ، فإن هذا ممتنع هاهنا ، وهكذا هذه الآية : (فكان قاب قوسين أو أدنى) .وهذا الذي قلناه من أن هذا المقترب الداني الذي صار بينه وبين محمد - صلى االله عليه وسلم - إنما هو

جبريل عليه السلام ، هو قول أم المؤمنين عائشة ، وابن مسعود ، وأبي ذر ، وأبي هريرة ، كما سنورد أحاديثهم قريبا إن شاء الله . وروى مسلم في صحيحه ، عن ابن عباس أنه قال : " رأى محمد ربه بفؤاده مرتين " . فجعل هذه إحداهما . وجاء في حديث شريك بن أبي نمر ، عن أنس في حديث الإسراء : " ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى " ولهذا تكلم كثير من الناس في متن هذه الرواية ، وذكروا أشياء فيها من الغرابة ، فإن صح فهو محمول على وقت آخر وقصة أخرى ، لا أنها تفسير لهذه الآية ; فإن هذه كانت ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الأرض لا ليلة الإسراء ; ولهذا قال بعده : (ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى) ، فهذه هي ليلة الإسراء والأولى كانت في الأرض .وقد قال ابن جرير : حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا سليمان الشيباني ، حدثنا زر بن حبيش قال : قال عبد الله بن مسعود في هذه الآية : (فكان قاب قوسين أو أدنى) ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " رأيت جبريل له ستمائة جناح " .وقال ابن وهب : حدثنا ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة ، عن عائشة قالت : كان أول شأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه رأى في منامه

جبريل بأجياد ، ثم إنه خرج ليقضي حاجته فصرخ به جبريل : يا محمد يا محمد . فنظر رسول االله - صلى االله عليه وسلم - يمينا وشمالا فلم ير شيئا - ثلاثا - ثم رفع بصره فإذا هو ثان إحدى رجليه مع الأخرى على أفق السماء فقال : يا محمد ، جبريل ، جبريل - يسكنه - فهرب النبي - صلى االله عليه وسلم - حتى دخل في الناس ، فنظر فلم ير شيئا ، ثم خرج من الناس ، ثم نظر فرآه ، فدخل في الناس فلم ير شيئا ، ثم خرج فنظر فرآه ، فذلك قول االله عز وجل : (والنجم إذا هوى [ما ضل صاحبكم وما غوى]) إلى قوله : (ثم دنا فتدلى) يعني جبريل إلى محمد ، (فكان قاب قوسين أو أدنى) : ويقولون : القاب نصف الأصبع . وقال بعضهم : ذراعين كان بينهما .رواه ابن جرير وابن أبي حاتم ، من حديث ابن وهب . وفي حديث الزهري عن أبي سلمة ، عن جابر شاهد لهذا .وروى البخاري عن طلق بن غنام ، عن زائدة ، عن الشيباني قال : سألت زرا عن قوله : (فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى) قال : حدثنا عبد االله أن محمدا - صلى االله عليه وسلم - رأى جبريل له ستمائة جناح .وقال ابن جرير : حدثني ابن بزيع البغدادي ، حدثنا إسحاق بن منصور ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن بن يزيد

، عن عبد االله : (ما كذب الفؤاد ما رأى) قال : رأى رسول االله - صلى االله عليه وسلم - جبريل عليه حلتا رفرف ، قد ملأ ما بين السماء والأرض .